ملامح تادرس السيميائي
في الموروث العربي

الأستاذ: بلقاسم دفة
مكلف بالدروس كبية الآداب
والعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربية جامعة
محمد خيضر بسكرة

ملخص: لم يكن علم السيمياء وليد العمر الحديث كما يزعم البعض، بل هو قديم النشأة؛ فقد اهتم القدامى من عرب وغرب بهذا الجانب من علوم اللسانيات منذ أكثر من ألفي سنة. وظهرت أفكار وتأملات سيميائية على يد العلماء العرب المسلمين كابن سبنا والفارابي والغزالي والجرجاني والقرطاجني وغيرهم، وأشار علماء اللّغة إلى ما تمتاز به الحروف من خواص تعبيرية، أي: علاقة طبيعية مع المدلول، ولذلك كانت الحروف أدوات للتعبير عن ظواهر شتى كالحركة والخفة والاضطراب والطموح والعظمة والاستبطان وغير ذلك. وربطوا بين هذه المعطيات وما سموه بعلم السيمياء، أي: علم أسرار الحروف.

مقدمه:

لقد أثارت الظاهرة اللغوية من حيث هي نظام تواصلي انتباه المفكرين والفلاسفة واللغويين والبلاغيين منذ القدم، الأمر الذي جعلها تحظى بنصيب وافر من الدراسة التي تهدف إلى استكشاف البنية الجوهرية لهذا النظام.

ومما لا شك فيه أن دراسة النظام الإشاري في التراث العربي هي دراسة قديمة قدم الدرس اللساني. إلا أن الأفكار والتأملات السيميائية التي وصلت ظلت في إطار التجربة الذاتية، ولم تتجسد في إطار التجربة العلمية الموضوعية، ومن ثم فالمنطلقات السيميائية للدراسة العربية تنقصها الإجراءات التطبيقية الموسعة.

مفهوم علم السيمياء

أتحدث بادئ ذي بدئ عن معنى السيميائية لغة، ثم أتعرض لـ معناها اصطلاحا.

أ- معنى سيمياء لغة :

السيمياء: العلامة، مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وسم"، وأصلها "وسْمى"؛ ووزنها «عِقلى»، وهي في الصورة «فِعلى»؛ يدل على ذلك قولهم: سِمَة، فإن أصلها: وسْمة ويقولون: سيمى

بالقصر. وسيماء بالمد وسيمياء بزيادة الياء والمد، ويقولون: «سوَم» إذا جعل سمة. وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصّل إلى التخفيف لهذه الأوزان؟ لأنّ قلب عين الكلمة متأت بخلاف قلب فائها، ولم يسمع من كلامهم فعل مجرد من «سوم» المقلوب؛ وإنّما سمع منه فعل مضاعف في قولهم: سوّم فرسه، أي جعل عليه السّيمة. وقيل: الخيل المسوّمة هي التي عليها السّيما والسّومة. وهي العلامة[1].

وقد ورد هذا المعنى في القرن الكريم في خمسة مواضع. منها قوله تعالى: (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا)[2] .

وقوله: (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم)[3] . وقوله: (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام)[4].

ووردت - كذلك - في الشعر. ومنه قول أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة حين قاسمه ماله:

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشقّ على البصر

كأن الثريا علّقت فوق نحره وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر[5]

---

[1]- ينظر ابن منظور. لعان العرب. سوم. البقرة.273.

[2]- البقرة . 273

[3]- الأعراف.48.

[4]- الرحمان.41.

[5]- ذكره الجوهري في الصحاح. دار العلم للملايين. بيروت. ط 3. 1984. 5/ 1956 . وابن منظور في لسان العرب.312/12. مادة(سوم).

يتضح مما أوردناه أن كلمة سيمياء مشتقة. وهي بمعنى العلامة أو الآية.' أي: «signe[1]». والأولى استخدام هذا المصطلح دون غيره من مثل سيميوطيقا. وسيميولوجيا.. لأنه مصطلح ضارب في الأصل العربي. ومصطلح «سيمياء» العربي يقابل مصطلح «سيميولوجيا». وكلمة «سيميولوجيا» منقولة عن اللّغة الإنجليزية، يعبر عنها بمصطلحين هما: «semiologie» «semiotiqe». وهذان المصطلحان من الأصل اليوناني **semeion** أي: الإشارة أو العلامة. وهذا المعنى ينطبق على المصطلح العربي «سيمياء».

ب - معنى «سيمياء» اصطلاحا:

ان مصطلح «سيمياء» يعني في أبسط تعريفاته وأكثرها استخداما نظام السمة أو شبكة من العلاقات النظمية المتسلسلة[2] وفق قواعد لغوية متغق عليها في بيئة معينة. إن السيمياء «هي عبارة عن لعبة التفكيك والتركيب. وتحديد البنيات العميقة الثاوبة وراء البنيات السطحية المتمظهرة فونولوجيا ودلاليا»[3] وهي «دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمساءلة الدوال من أجل تحقيق معرفة دقيقة بالمعنى»[4].

---

[1]- ينظر، عبد العزيز بن عبد الله. الدلالاتية المقارنة في خدمة تاريخ الحضارة المقارن. مجلة اللسان العربي. العدد23. الدورة المالية.1983.1982،٠. ص166.

[2]- 7 **1979 >p 339** . **j، acoutee. semiotique . hachette^paris**

j greimas

[3]- جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر ٠ الكويت المجلد 25. العدد 3 مارس 1997 ، ص **79.**

[4]- المرجع السابق. ص 79.

والسيمياء أو السيميولوجيا حسب تعبير بيير جيرو (**P-guiraud**) «علم يدرس أنساق الإشارات: لغات، أنماط، إشارات المرور، إلى آخره. وهذا التعريف يجعل اللّغة جزءا من العلامة»[1].

يتضح من هذا التعريف أن هناك إجماعا يقرر «بأن للكلام بنيته المتميزة والمستقلة والتي تسمح بتحديد السيمياء بالدراسة التي تتناول أنظمة العلامات غير الألسنية، مما يحتم علينا تبني ذلك التحديد»[2]. فالسيمياء «هي علم الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها. وهذا يعني أن النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات ورموز هو نظام ذو دلالة. وهكذا فإن السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ويدرس بالتالي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية»[3].

إن السيمياء أو السيميولوجيا كما صممها فرديناند دوسوسيير (**F. desausure**)

هي عبارة عن علم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. والنص الذي يتلى دائما هو «اللّغة نظام علامات، يعبر عن أفكار، ولذا يمكن مقارنتها بالكتابة، بأبجدية الصم البكم، بأشكال اللياقة، بالإشارات العسكرية، وبالطقوس الرمزية، إلخ... على أن اللّغة هي أهم هذه النظم على الإطلاق»[4].

إن سوسير يحصر العلامات داخل أحضان المجتمع، ويجعل اللسانيات فرعا عن السيمياء خلاف غيره من الباحثين، وهكذا فإن علم السيمياء هو ذلك العلم الذي يدرس حياة الإشارات في قلب المجتمع،

---

[1]- بيير جيرو، علم الإشارة – السمييولوجيا – ترجمة عن الفرنسية ، منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1. 1988، ص: 23.

[2]- جميل حمداوي. مجلة عالم الفكر. الكويت. ص 81

[3]- مازن الوعر. مقلمة علم الإشارة – السيميولوجيا – لبيير جيرو، ص 9.

[4]- بيير جيرو. علم الإشارة – الميميولوجيا – ص 23. 24.

ويهتم بإنتاج الإشارات أو العلامات واستعمالها، بحيث تبرز الأنظمة السيميائية من خلال العلاقات بين العلامات.

والواقع إن السيميولوجيا لم تصبح علما قائما بذاته إلا بالعمل الذي قام به الفيلسوف الأمريكي بيرس (c. peirce).

فالسيميولوجيا تبعا لرؤيته هي علم الإشارة الذي ينظم جميع العلوم الإنسانية والطبيعية، حيث يقول: « ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في هذا الكون كالرياضيات، والأخلاق... وعلم النفس، وعلم الصوتيات، وعلم الاقتصاد... إلا على أنه نظام سيميولوجي»[1] .

إن نظام **بيرس** السيميولوجي هو عبارة عن مثلث «تتشكل الإشارة فيه الضلع الأول الذي له صلة حقيقية بالموضع الذي يشكل الضلع الثاني المحدد للمعنى، وهذا الضلع الثالث - أي المعنى- هو إشارة كذلك تعود على موضوعها الذي أنتج المعنى»[2].

فالعلامة عنده متعددة الأوجه على خلاف العلامة عند دوسوسير، فإنها ذات وجهين: دال ومدلول.

وتبعا لرؤية بيرس فإن كل العلامات تدرك من خلال المستويات الثلاثة (الإشارة، الموضوع، المعنى). ولهذا فإن المدلول هو معنى الإشارة، أي: أنه يمثل العلاقة الأفقية بين إشارة وأخرى. وهذا هو الذي يجعل من المدلول إشارة أيضا تحتاج إلى مدلول آخر يفسر غموضها ويوضح إبهامها.

---

to lady Welly . edi. c. lieb new haven 1953 P 32. 14 C. peirce -[1]
s vol 2 combbdge mass 1960 P 156. 15٢collected pape

[2]- اشءد،4 .

الذ٠حل، 16.

القاص عبد الجبار. المعني، ص 186.

يلحظ أن بيرس يركز على الوظيفة المنطقية للإشارة، بينما يركز دوسوسير على الوظيفة الاجتماعية. ولكن المظهرين على علاقة متينة. والمصطلحان سيميولوجيا (sémiologie)، وسيميوطيقا (sémiotique) يغطيان اليوم نظاما واحدا متكاملا، فالأوربيون يستخدمون الأول، بينما يستخدم الثاني كل الناطقين بالإنجليزية.

ملامح الدرس السيميائي في الموروث اللساني العربي:

نتناول الموضوع من حيث النقاط الاتية:

1- العلامة في التراث:

إن الموروث الفكري العربي لا يعدو أن يكون في كنهه مخزونا علميا أو ثقافيا، يظهر في شكل نظام من العلامات الدالة. وتتجلى سيميائية هذا النظام في إطاره اللغوي والثقافي والحضاري.

وقد تبلور علم السيمياء على يد علماء الأصول والتفسير والفلسفة والمنطق واللّغة والبلاغة. وكان الباعث والموجه للدرس السيميائي هو القرآن الكريم. إذ منذ نزوله، كان التأمل في العلامة بغية اكتشاف بنيتها الدلالية. فقد أرشد القرآن الكريم في مواضع عدة إلى تدبرها، من ذلك قوله تعالى: « إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» [1].

وقوله : «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» [2].

ففي هذا التوجيه الرباني كان التعامل مع العلامة قصد فهم دلالتها الروحية والعقيدية والكونية، والاستدلال بحاضرها على غائبها، يقول القاضي عبد الجبار:« إن من حق الأسماء أن يعلم معناها في الشاهد، ثم يبنى عليها الغائب»[3]. وقد أشار إلى هذا - كذلك - الراغب الأصبهاني، وذلك حينما تحدث عن الفقه. فيقول: « إن الفقه هو معرفة علم غائب

---

[1]- الرعد ، 4

[2]- النحل، 16

[3]- القاضي عبد الجبار، المعني، ص: 186

بعلم شاهد»[1]، من هذه الوجهة تعامل العلماء مع العلامة من حيث هي علامة تدل على حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى علامة دالة على حقيقة مجردة غائبة.

2-ماهية العلامة:

الواقع إن دراسة نظام العلامات قديم قدم الحياة نفسها، ولكن المنطلقات النظرية لهذه الدراسة اختلفت من عصر إلى عصر ومن أمة إلى أخرى. وذلك لاختلاف الحقب التاريخية، واختلاف الحضارات، وقد وصلت بعض الأفكار السيميائية من حضارات قديمة كالحضارة اليونانية والعربية، إلا أن تلك الأفكار السيميائية ظلت في إطار التجربة الذاتية. ولم تدخل في إطار التجربة العلمية الموضوعية[2] .

فقد رأى الباحثون أن القدامى من عرب وعجم اهتموا بهذا الجانب من علوم اللسان منذ أكثر من ألفي سنة. فقد أفرد الفيلسوف أفلاطون بالتأليف، وأكد أن للأشياء جوهرا ثابتا، وأن الكلمة أداة التعبير عن الحقيقة، وبذلك يكون تبيين الكلمة وحقيقتها الدالة عليها، أي بين الدال والمدلول، أو المبنى والمعنى تلاؤما طبيعيا. فلهذا كان اللفظ يعبر عن جوهر الأشياء، وكانت الكلمة تظهر أول ما تظهر في وسط بدائي فطري، وهذا ما حدا سقراط إلى القول بأن المجتمع البدائي هو المنبع الأصيل للكلمة .[3] وقد أشار أفلاطون إلى ما تمتاز به الحروف من خواص تعبيرية، أي

---

[1]- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية. (د.ت) مادة فقه.

[2]- ينظر، مازن الوعر، مقدمة علم الإشارة لبيير جيرو، ص: 10.

[3]- ينظر، عبد العزيز بن عبد الله، التعريب ومستقبل اللّغة العربية، صدر عن مبحث البحوث والدراسات العربية، 1975، ص: 78، 79

علاقة طبيعية مع المدلول أو المعنى، ولذلك كانت الحروف أدوات للتعبير عن معان كثيرة كالحركة والخفة والطموح والاضطراب والاستبطان والعظمة والطول والقصر، وغير ذلك[1].

وقديما ربط علماء اللّغة العرب بين هذه العطيات وبين ما أسموه بعلم أسرار الحروف، أي: علم السيمياء. وقد تعددت في ذلك دراسات أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي، صاحب كتاب الرسالة الموضحة، وأحمد بن علي البوني، المتصوف الغربي الأصل، وهو من أشهر الكتاب العرب في العلوم الخفية (السحر)[2]. وإذا كانت السيمياء تتناول العلامة، فقد اهتم الدارسون العرب القدامى بتعريفها. ويتقارب مفهومها عندهم مع مفهوم السمة والأمارة والأثر والدليل. فكل ذلك يتعلق بالدلالة. وهي في اعتقادهم « كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»[3] .

يقول أحمد بن فارس حين كلامه عن مادة(دلّ):«... أصل يدل على إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والدليل الأمارة في الشيء»[4].

ويقول أبو هلال السكري في هذا الأمر حين كان بصدد العلامة والدلالة: «يمكن أن يستدل بها، أقصد فاعلها ذلك، أم لم يقصد، والشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك.... وآثار اللص تدل عليه، وهو لم يقصد ذلك، .... وما هو معروف في عرف اللغويين يقولون استدللنا عليه بأثره، وليس هو فاعلا لأثره من قصد»[5]

---

[1]- ينظر، المرجع السابق: ص: 79

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص: 79

[3]- الجرجاني علي بن محمد كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1 1985، ص: 139

[4]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، 259/2، مادة (دلّ)

[5]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللّغة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط 4 ، 1963، ص: 13

هذه إماءة من أبي هلال إلى إشكالية القصدية في العلامة، وهي الإشكالية التي تعد في الفكر السميميائي الحديث موضوع نقاش بين اتجاهين: اتجاه يؤكد على الطبيعة الإبلاغية التواصلية للعلامة، ويمثل هذا الاتجاه كل من مونان، ومارتيني، وبيربيطو في الفكر السيميائي الفرنسي. وهم يعتقدون أن العلامة تتألف في أساسها من دال ومدلول وقصد. واتجاه آخر يركز على الجانب التأويلي للعلامة، أي: من حيث إمكانية العلامة للتأويل بالنسبة للمتلقي. ويمثل هذا الاتجاه رولان بارث الفرنسي وهو اتجاه يوصف بالسيميائية الدلالية.

نجد هذا التصور نفسه للعلامة عند الراغب ١الأصبهاني، إذ يقول: «الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالات الإشارات والرموز والكتابة، وسواء أكان ذلك بقصد من يجعله دلالة، أم لم يكن يقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي»[1]. ويستشهد الأصبهاني على قوله هذا بها ورد في قوله تعالى: «ما دَلّهُم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته»[2]. فالراغب بهذا المفهوم للدلالة بوسع المجال التطبيقي الإجرائي للعلامة لتشمل أنماطا سيميائية، هي (الألفاظ، الإشارات، الرموز، الكتابة، الهيئة). ثم يركز على مسألة الدلالة القصدية وعدمها في العلامة. وقد كان مدركا عندما جسد ذلك بصورة سليمان -كما ورد في الآية الكريمة -حيث ظل بعد وفاته عاما منتصبا ومستندا على منسأته(عصاه). هذه الهيئة أو النصبة كما يسميها الجاحظ[3] أولها الجن بدلالة الحياة، لذلك كانت تعمل، وكأنها مأمورة. وبالتقادم الزمني أكلت الأرضة منسأته، فخر ساقطا. وهذه الهيئة هي علامة موت وفناء. وهذه الصورة التي مثل بها الأصبهاني تنطبق على أية هيئة.

---

[1]- الراغب الأصبهاني، المفرادات في غريب القرآن، مادة (دلّ)

[2]- سبأ ، 14

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد الملام محمد هارون، ط: 3، (د.ت)، 76/1

يتضح مما سبق أن التأويل وجد طريقه في الدراسات العربية، وبخاصة في الدراسات القرآنية. وقد اتسعت دائرته لدى الشيعة والمتصوفة والفلاسفة والمعتزلة وإخوان الصفا... واتخذ بعضهم المصحف جله موضع تأويل رغم اختلاف مستويات خطاب النص القرآني، وانتقى آخرون نصوصا تخدم مقاصدهم المختلفة إلا أنه يمكن القول إن المفسرين على اختلاف مشاربهم استثمروا النصوص الواردة فيها التشبه بكيفية صريحة أو مجازية.

ولم يقتصر منظور القدامى لمفهوم العلامة التأويلية على النص القرآني، وإنما تجاوز إلى كل ما له علاقة بالعمل الأدبي، فقد تعاملوا مع الإشارة الموحية، وهو نوع من الأساليب البلاغية التي تخرج إلى المعنى المجازي.

3 - طبيعة العلامة:

لقد اهتم الدارسون القدامى على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم العلمية من لغويين وفلاسفة وعلماء أصول بطبيعة العلامة من حيث هي شيء محسوس بديل عن شيء مجرد غائب عن الأعيان. يقول ابن سينا: «إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية. فترتسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا، وإن غابت عن الحس... ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم. ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[1] .

إذا تدبرنا مفهوم ابن سينا لدلالة اللفظ نجده يتفق ومفهوم دوسوسير للعلامة. فالعلامة في منظور ابن سينا ثنائية المبنى، تتألف من مسموع، ومعنى(مفهوم). وبهذا التصور يلغى من مفهوم العلامة المرجع الذي تحيل إليه العلامة، وذلك ما نجده عند دوسوسير أيضا، إذ تتألف العلامة عنده من صورة سمعية، وتصور (مفهوم). وهناك بعض العلماء يعدون

---

[1]- ابن سينا، العبارة (الشفاء)، تحقيق محمود الحضيري، القاهرة، 1970، ص: 3، 4.

المرجع طرفا أساسيا في العلامة. من أولئك أبو حامد الغزالي الذي يرى أن الأشياء في الوجود لها أربع مراتب، إذ يقول: « إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان»[1]

يبدو أن الغزالي قد أدرك أهمية اللّغة في إبداع النظام التواصلي، إذ أن الإنسان يكيف تعامله مع الواقع الخارجي من خلال كفاءته العقلية التي تسمح له بابتكار النمط الترميزي الدال وفق التصور الحسي، وما يوفره المحيط الاجتماعي مع إشارات ورموز ترتبط بعالم الأشياء المحسوسة، وقد أصبح هذا التصور لعالم الأشياء محورا أساسيا في النظرية الدلالية الإحالية التي جاء بها ريتشاردز وأوجدن (**Richards Ogden et**) في ملفهما(**The meaning Ofmeaning**) أي معنى المعنى، الذي أصدراه سنة 1923 م، حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الألفاظ والأفكار من جهة، والأشياء المشار إليها من جهة ثانية. وقد أوجزا فكرتهما في شكل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية[2].

فالعلاقة بين الموجود في الألفاظ (الرمز)، والموجود في الأذهان (الفكرة) علاقة سببية؛ **أي: أن** الدال يتطلب في ذهن المتلقي المدلول، كما **أن** المدلول يتطلب هو الآخر في ذهن المتكلم الدال اللازم له. لذلك فإن المفاهيم المستوحاة من المرجع الخارجي قابلة لأن تكون مشتركة بين أفراد المجتمع، بينما هذه الخاصية تفتقر إليها الموجودات في الألفاظ (الدوال) وارتباطها بالمدلولات، لأنها تواضعية اصطلاحية، وقد ذكر ذلك الغزالي بصريح قوله: «الوجود في الأعيان والأذهان لا

---

[1]- الغزالي، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص: 35، 36

[2]- ينظر، كمال بشر، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ط 3، 1971، ص:159. وعاطف مذكور، علم اللغة بين التراث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 234.

يختلف باختلاف البلاد والأمم بخلاف الألفاظ والكتابة. فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح»[1].

نجد هذا المفهوم للعلامة بأطرافها المذكورة عند حازم القرطاجي، حيث يقول: «قد تبين أن المعاني لها حقائق، موجودة في الاعيان؛ ولها صور موجودة في الأذهان، ولها من جهة على ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام والأذهان»[2].

وتبعا لهذه الرؤية، فإن كل العلامات تدرك من خلال تلك المستويات الثلاثة. ولهذا فإن المدلول هو معنى الإشارة، أي: أنه يمثل العلاقة الأفقية بين إشارة وأخرى. وهذا هو الذي يجعل المدلول إشارة أيضا تحتاج إلى مدلول آخر يفسر غموضا ويزيح إبهاما.

4- أنواع العلامات ومجالها الدلالي:

إذا كانت السيمياء تبدأ بالعلامة، فقد اهتم العلماء بتصنيف العلامات وتمييزها

وتعليلها من أجل إدراك مجال أوسع لماهيتها، وتوصلوا إلى أن النظام السيميائي للعلامة يتأسس على أنواع من العلامات، يمكن الإشارة إليها فيها يأتي:

1. إذا نظرنا إلى العلامة من حيث طبيعة الدال، فهي إما أن تكون لفظية أو غير لفظية[3].

2. أما إذا نظرنا إلى العلامة اللفظية الوضعية أو الاصطلاحية، فهي لا تعدو أن تكون واحدة من ثلاث وهي: الطابقة والتضمن والالتزام. فإن لغظ «البيت» يدل على معنى البيت بطريق

---

[1]- الغزالي، معيار العلم، 76، 75.

[2]- حانم القرطاجي، منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ص19.

[3]- عادل فاخوري. علم الدلالة عند العرب. دار الطليعة. بيروت، ط1 1985، ص، 13،17

المطابقة، ويدل على السقف بطريق التضمن، لأن البيت يتضمن السقف، وأما دلالة الالتزام فهي كدلالة لغير السقف على الحائط، فهو كالرفيق الملازم الخارج عن ذات السقف الذي لا ينفصل عنه [1].

3. وإذا نظرنا إلى العلامة من حيث طبيعة العلاقة القائمة بين طرفي الدال والمدلول. فهي إما وضعية أو طبيعية أو عقلية[2]. ويمكن توضيح هذه المفاهيم في الآتي:

أ- الوضعية: هي العلامة الاصطلاحية المتفق عليها في وسط اجتماعي، أو المتواضع عليها بين أفراد المجتمع، ويضم هذا النوع كل العلامات اللفظية.

ب- العلامة الطبيعية: المقصود بالعلامة الطبيعية هي تلك العلامة الناتجة عن أحداث طبيعته، سواء كانت طبيعية اللفظ أم طبيعية الحامل المادي للعلامة. فكل العلامات التي تعكس أصوات الطبيعة تنسحب ضمن هذا النوع، وكذلك الأصوات الملازمة للانفعالات، والتغييرات الفزيولوجية، كملامح الوجه، وتغير لونه من حالة إلى أخرى[3].

ت- العلامة العقلية: المراد بها دلالة الأثر على المؤثر، كدلالة السحاب على المطر، والدخان على النار، فالعلامة العقلية في الموروث العربي تنحصر في علاقة السببية، أي: يجد العقل ثمة علاقة ذاتية بين طرفي الدال والمدلول.

إن العلامة بنمطها السيميائي ذات فضائي دلالي، ليس من السهل إخضاعه لثنائية الدال والمدلول، لأن العلامة في أساسها تتسم

---

[1]- الغزالى، المستصفى من علم الأصول تحقيق وتعليق – مصطفى أبو العلاء، شركة الطباعة الفنية المتحدة 1971ص41 وماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد،1980،ص 286

[2]- ينظر، الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة. 1967 17/1 ومحمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، ط1 ، 1972 ص36.38.

[3]- عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، ص: 18 وما بعدها.

بديناميكية وحركية، وبالأحرى فهي انزياحيه، وتكتسب دلالتها من الوسط الاجتماعي.

وقد بين الجرجاني الميدان الاجرائي للعلامة حين صنف نوع الخطاب المنجز في الفكر الإنساني، فيقول: «الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده. وضرب آخر أنت تصل منه اللفظ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الغرض»[1].

وإذا تأملنا قول الجرجاني فإننا نجده يماثل مفهوم بيرس للعلامة من حيث قابلية المفسرة لأن تتحول إلى متوالية من العلامات، لها فضاء دلالي غير محدد فيقول: «المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى هو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[2] .

يتضح من هذا البحث المتواضع حول ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي أن القدامى قد تفطنوا في وقت مبكر إلى قيمة العلامة من حيث هي حقيقة حسية تقود وتحيل إلى حقيقة مجردة غائبة، وكانت دراستهم التطبيقية تتمركز حول الدراسات القرآنية، فالقرآن هو الوجه والباعث الحقيقي للدرس السيميائي.

---

[1]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت 1984، ص: 202

[2]- المرجع السابق، ص: 203.